



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القرآن

الميدان الاجتماعي

جرائم حزب البعث

المرحلة الثانية

د.م. عروبة عبدالله حسين

الفرع الأول : حكم العائلة واخ تال الوطن يف شخصية الحاكم :

على الرغم من أن الدولة العراقية الحديثة قد نشأت يف ظل تحديات كئي، كان من أهمها عملية صعوبة دمج مكونات مجتمعية كانت ثقافات الفرعية تقوم على جملة من الخلافات الكامنة فيما بينها؛ الظاهر منها أقل من الكامن الذي تناقلته الذاكرة الجمعية للمجتمع طوال قرون من الشد والجذب؛ إلا أن هذه الدولة كانت تسري على طريق مهما كانت عقباته كبرية إلا أنه كان طريقاً يشق لرسم مستقبل بناء دولة موحدة؛ ومع ذلك فشلت الحقبة الملكية (1921 - 1958) من إقامة دولة مواطنة، والنهوض بمجتمع عرا يف موح ح ث مع وجود إنتماءاته الفرعية .

دخل العراق بعد تموز 1958 يف سلسلة من الصراعات ال يث جذرت حالة عدم الوئام التام بر ي مكونات المجتمع (القومية، والدينية، والمذهبية، والمناطقية)؛ وعلى الرغم من الخط الوط يث الذي انتهجته حكومة عبد الكريم قاسم (تموز 1958 - شباط 1963) إلا أن التحديات الكئي ظلت حاصرة تعرقل قيام حكم وطيث دون الميلأو الانحياز لجهة على حساب أخرى، ولقد وقفت يف وجه هذه الحكومة جهات وأحزاب وقوى ومؤسسات تعان يف ه ذاتها من اختلاف فيما بينها وت يبص أحداها بالأخرى إلا أنها اجتمعت على إسقاط تجربة حكم وطيث يتعامل مع العراقي ي على أساس المواطنة وليس القومية أو الدين أو الطائفة .

ولقد مرت تلك المدة والمُدد ال يث جاءت بعدها العارفية (1963 الى 1968) ثم حكم البعث للمدة من تموز 1968 وح ث تموز 1979 - فية حكم احمد حسن البكر- دون الوصول إلى مرحلة الحكم الشمو يف الى الاستبدادي الذي تكرر لاحقاً يف شخص الزعيم كما حصل مع (صدام حسر ي) الذي أصبح الزعيم الأوحد؛ إذ هو بطل النصر والسلام، وهو الذي يمنح حق الموت والحياة، يمنح ويمنح ، ويقرر دائماً هو وحده دون أن يستشري أحدا استشارة حقيقية يمكن الأخذ بها. ولقد جاءت القرارات المصرية الكئي ال يث أدخلت العراق يف نفق الضياع نتيجة أفكار، ورؤى،

وأحلام شخصية بحتة؛ دخل البلد والمجتمع من خلالها في أتون محارق الحرب مع إيران (1980-1988)، وغزو الكويت 1990 ، وحرب عاصفة الصحراء 1991، ثم الاحتلال الأمريكي في نيسان 2003

، وما برح تلك الحروب كانت هناك هجمات أمريكية بري وقت وآخر، وكانت الحرب الناعمة المميّزة تتمثل بالحصار الاقتصادي (1991-2003) الذي أسهم في هدم البناء الاجتماعي العراقي؛ وأدخل المجتمع في عصر جديد من عدم الأمن والاستقرار، كما أن التنمية تعطلت، وارتفعت بشكل مخيف نسب الأمية، ومعدلات الفقر، ومستويات البطالة، وانخفض الأداء الحكومي، وشاع الفساد الإداري وتجرّد الفساد المالي، وانتشرت ظواهر خطيرة تمثلت بالتسرب المدرسي، وانحراف الأحداث، والتجارة بالمخدرات، وتعاطي الحبوب المخدرة، والتفكك العائلي، والجريمة المنظمة .

وفي ظل الأوضاع المعقدة التي أدخل النظام السياسي المجتمع فيها، ازداد تمسك رأس النظام-صدام- بالأفكار التقليدية دون محاولة التصحيح أو التقويم والتعديل، وبعد أن كان ينادي بالوحدة العربية، وتحقيق الأهداف والشعارات الناقية، صار بعد كل أزمة يرتفع في أحضان العشرية، ثم الفخذ القبيح الذي ينتج له، بل حتى الفرع العائلي لم يسلم من التشذيب نتيجة صراع الجيل الثاني من الأبناء والأصهار في محاولة الحصول على المناصب الحكومية المهمة التي صارت حكرًا على العائلة .

ولقد صارت شعارات مثل (إذا قال صدام قال العراق) يتم تداولها يوميًا في المدارس، والثكنات العسكرية، والدوائر الحكومية دون أن يكون هناك إيمان حقيقي بها، لكنها كانت تقع ضمن سياق اعتاد عليه المجتمع خوفًا من بطش النظام، أو تملقًا للحصول على منصب أو للاحتفاظ بآخر. وهكذا صار بلد عمره ثمانية آلاف عام يتم اختصاره بشخص الزعيم الذي كان قد استمر ألبعة دون أن يدرك أنه يسري في الطريق الخاطيء وأنه يقود نفسه والبلد برمته نحو المجهول .

الفرع الثاني: جدلية الحاكم والمواطن ب ي النفاق والظلم وتعزيز ثقافة المدح

تعتمد نظام البعث العمل على إثارة النزعات الطائفية والمناطقية والقومية بر ي أفراد الشعب العرا يف إذ أثار روح ال ياع الذي يث بر ي أفراد الشعب فقد صرب المسلمر ي بغريهم من غري المسلمر ي وأشاع روح الطائفية بر ي المسلمر ي فقسهم الى طائفتري (السنة والشيعة) مفضلا طائفة على أخرى مانحا الامتيازات لهما دون غريه ا، كما أثار روح النزعات القومية بر ي العرب والكرد رافعا الشعارات القومية ال يث ت و يحي بأن الوطن هو ملك لقومية واحدة وأن الآخرين هم مجرد مستوطنر ي ، عامدا الى تهجري العديد من المواطنر ي من ديارهم إلى أماكن أخرى سواء داخل العراق او خارجه كما فعل يف حملات التسفري المستمرة للكثري من العوائل العراقية وإخراجهم خارج حدود الوطن ورميهم على الحدود ، ومنع مواط يث الداخل من الانتقال من محافظاتهم والسكن يف محافظات أخرى، وسحب الجنسية العراقية أو تسقيطه ا عن العديد من المواطنر ي وأثار يف نفوسهم روح العدا للوطن بالتشكيك يف وطنيتهم .

إن إنسلاخ المواطن عن شعوره بالم واطنة وا لنتماء الحقي يف لوطنه وتهديده المستمر بالتهجري والتشكيك بإنتمائه ووطنيته هدد أمنه الاجتماعي ع، وأفقده هويته بالانتماء وأصبح يعيش يف حالة ا لغ ياب النف يس على الرغم من وجوده الفع يلى على أرضه ال يث ولد فيها . وتشري الأبحاث النفسية الى ان شعور الفرد بالاغ ياب النف يس داخل وطنه يهدد ذاته ويضعف ولاءه لوطنه الحقي يف ويجعله يعيش يف صراع دائم من اجل إثبات وجوده النف يس مما يقلل أداءه وإنتاجه وإختلال موازينه وعيشه حالة صراع مستمر مع قيم المجتمع الذي يعيش فيه محاولا الهجرة للبحث عن وطن يشعر فيه بالاستقرار والأمن النف يس والاجتماي ع. لذا زاد أعداد المهاجرين من العراق الى دول العالم الأخرى بحثا عن ا لاستقرار اذ تشري كثري من التقارير الى هجرة آلاف المهندسر ي وأساتذة الجامعات والأطباء والعمالة الماهرة وغريهم .

الفرع الثالث : الولاء أولا، وعسكرة المجتمع

اعتمدت الدولة العراقية منذ النصف الثاني من العقد الثامن من القرن العشرين على تعبئة الجماهيري، وعسكرة المجتمع ظلنا منها أن هذا الأمر سيدعم بقاءها في السلطة بالاحتماء بالناس من أية أخطار قد تلحق بها من قوى سياسية مناوئة لها، كما أنها كانت تظن أن انشغال الناس بالتعبئة والتحميد سيجعلها جزءاً منجسد النظام، وينسيها أي مطالب تتعلق بحقوقها في الحياة الكريمة والعيش الرغيد.

لقد إستنسخ النظام السياسي في العراق الذي كان يقوده حزب البعث تجارب من أوروبا الشرقية والصري والاتحاد السوفيتي والآنظمة الاشياكية في أمريكا الجنوبية في محاولة منه لتطبيقها في العراق، وكان هناك جملة من الأهداف التي تصب في مصلحة النظام منها تنظيم مؤسسات رديفة للجيش تقوم على تنظيمات مليشياوية يقودها الحزب مثل (الجيش الشعبي) (ي)، وتنظيمات الفتوة والشباب التي كان الفتيان يندرجون فيها برغبتهم أو من دونها بهدف إنشاء أجيال جديدة مؤدجلة تدافع عن النظام، ولاحقاً تأسيس تنظيم فدائري صدام الذين قاموا بجرائم يندى لها الجبري .

ولقد أسهمت هذه السياسة في تجذير نزعة العنف لدى الشخصية العراقية بزرع القسوة في نفوس الشباب وشقة أجمل سنوات عمرهم التي كان من الممكن تمضيها بالمعرفة واللعب والرياضة والفن، إلا أن البلد تحول بعد العام 1980 إلى معسكر كبري للتدريب على حمل السلاح وتفعيل استعماله.

وما أن يصل الشاب إلى عمر الثامنة عشرة حث يصبح رقماً ضمن آلة القتل المتمثلة بالحرب الطاحنة التي استمرت ثمانية أعوام متواصلة أكلت الأخصر واليابس وأحرقت سبب عمر الناجري من الجنود الذين وجدوا أنفسهم دون أدنى أمل في الحياة الآمنة المستقرة، إذ كانت كوابيس الحرب، والتجنيد لها، والموت الذي كان محيطاً بهم في خنادق السواتر الأمامية لها

تلاحقهم حث بعد تسريحهم من الجيش، لذا ظهر مجتمع جديد في العراق بعد العام 1988 يختلف كثيرا عن مجتمع ما قبل الحرب؛ ثم استمرت مغامرات النظام الكارثية، فقد استمر هذا النظام على نهجه التقليدي العقيم في معالجة التحديات التي كانت يتعرض لها، لذا استمر في عمليات التحشيد والتعبئة، وكان العلام يصور استعداد العراق للدخول في محرقة جديدة وكان أعوام الدمار الثمانية - الحرب العراقية الإيرانية - لم تكن كافية، حث تم زج هذا البلد الصغرى في أتون محرقة جديدة من خلال الوقوع في الكمري الذي نصبتة دوائر الاستخبارات الأمريكية والبيطانية فقام بغزو الكويت الذي تسبب في سلسلة من الحروب والحصار استمرت من العام 1990 وحتى العام 2003 عندما أسقطت القوات الأمريكية ذلك النظام السياسي المستبد وأدخلت البلد والمجتمع في مرحلة جديدة من الصراع وعدم الاستقرار وفقدان التنمية . لقد سلبت سياسات النظام - المتعلقة بعسكرة المجتمع - من ذلك المجتمع حقه في العيش الآمن المستقر والاستمتاع بحياة صحية آمنة وطويلة؛ في الوقت الذي كانت فيه شعوب المنطقة تعيش التنمية على المستويات كافة، كان العراق غارقاً في دوامات الحرب والدمار .

ولقد أسهمت عسكرة المجتمع في ولادة أجيال تربت على العنف ونشأت على حالة الطوارئ المستمرة، لذا تجذرت لدى المجتمع العراقي خاصة بر الأجيال الشابة التي ولدت بعد العام 1980، ثقافة العنف والتطرف التي ظهرت تمثلاتها بعد سقوط النظام عام 2003، فقد كان المجتمع في حالة إستعداد نفسي - ثقافي على الاقتتال الأهلي دون وجود أهداف واضحة، إذ كان القتل لأجل القتل، وفيه حالة ما كان يصل لها المجتمع لو لم يكن قد مر بظروف الحرب، وإرهاب الدولة، والقمع، وتكميم الأفواه، ومصادرة الآراء، وتغول الدولة بكل أجهزتها وفيه ترهب المواطن البسيط، وتهدهد بمختلف العقوبات بما فيها قطع الماء والكهرباء والطرده من الوظيفة وإسقاط الجنسية، والتعذيب الجسدي والنفسي، والتغييب، والاعتقال، والعدم .